

بسم الله الرحمن الرحيم

د . سهير فضل الله ابووافيه

العقل والوحي

ان محاولتنا التعرف على ماهية العقل وطبيعته ، وحقيقة الوحي ووظيفته ، انما هي محاولة هامة اليوم ، لتوضيح كثير من الأمور ومواجهة العديد من المشاكل ، التي يستغلها البعض لاجداث مراع بين العقل والنقل وخلق المسائل بينها ببعض .

فما يشاهد اليوم من جدال عقلي وحوار ديني حول المصدر الذي نحتكم اليه في معارقتنا ، والمعين الذي نستقي منه أحكامنا هل هو العقل أم النص ؟ انما هو حوار وجدال مفتعل لا هدف وراءه الا اشاعة البلبلة ، وفساد الحقائق اذ لاغنى للعقل عن الوحي ولا الوحي يهمل العقل ، وان الذين يغالون في قيمة العقل مخطئون والذين يتوقفون عند النص دون العقل مقصرون ، اما الذين يجمعون بين العقل والنص فهم قد أصابوا الحق ، والتزموا الصديق ، حيث لا تعارض بين العقل والوحي .

حقيقة لقد شغلت هذه المسائل الفلاسفة والمفكرين ، واختلفت حولها أنظار المتكلمين والباحثين .

فهل يمكن الاستغناء بالعقل عن الوحي ؟ وهل يكفي الوحي دون العقل ؟
أم أن لكل منهما دورا يؤديه وعملاً ينط به ؟

لقد ذهبت البراهمة ، وتأثر بها بعض الفلاسفة كمحمد بن زكريا الرازي الطبيب، وابسن الراوندي الى القول بان للانسان غنیه في عقله عن أي سبيل غيره ، فليعتمد عليه وليتصرف عما سواه ، وعلى ذلك أهملوا النص ، وقدموا العقل على الوحي والنبوه ، كطريق للعلم والمعرفة ، وذهبوا الى ان العقل وحده يكفي مصدر المعارف . وقد سار في ركاب هؤلاء الجهمية وبعض

الفلاسفة الذين زعموا ان نصوص الأنبياء غير مطابقة للحقيقة ، وانما كذبها الأنبياء على العوام
لان مصلحة العوام ان يخاطبوا بما يوافق عقولهم .^(١)

فهؤلاء قد غالوا في قيمة العقل على حساب الوحي ، ولكن جهات للعقل أن يعرف ما لا يعرفه
الوحي . أو كما قال بسكال قولته المشهورة " اخرس ايها العقل " فالحقيقة الالهية تفوقك .
وبما ذلك الا لقصوره في كثير من المسائل والمشكلات ، وان الاعتماد على العقل وحده مجرور
مكابره وعتاد وعدم ادراك لطبيعته وحدوده ، فالعقل ما هو الا القوة المتهيئة لقبول العلم
ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر رضى
الله عنه : العقل عقلان مطبوع ومسموع ، ولا ينفع مسموع اذ لم يك مطبوع كما لا ينفع نـ
الشمسي وضوء العين ممنوع .

والى العقل الأول أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ما خلق الله خلقا أكرم عليه من
العقل وعن الثاني قال " ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى " .^(٢)

والمعنى الأول يشير الى العزل بالقوة والثاني يوضح العقل المكتسب أو المتفاد ، كما
قال عنه الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة العقل ومعرفة ماهيته ، فوضعوا له تعريفات وتحديدات
وكان على قمة المهسين بالعقل أرسطو الذي أفرد في الجزء الثاني من كتابه " النفس " بحثا
طويلا عن العزل فقال " أما فيما يخص العقل فليس هناك شيء يدهسى بشأنه ، ومع ذلك يبدو
أن يكون ذلك نوعا جديدا من النفس مختلفا جدا ، وانه وحده هو الذي يمكن أن يكون مفارقا
للبدن " .^(٣)

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ونشر وتحقيق د . محمد رشاد سالم المقدمة ص ١١ الطبعة الاولى ١٩٩١

* المقصود بالوحي كلام الله المنزل على أنبيائه ورسله ونحمد به النقل والنسب

(٢) الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد الكيلاني الطبعة الاخير سنة ١٩٦١ م
مطبعة الجلى ص ٣٤١ - ٣٤٢

(٣) أنظر كتاب النفس والعقل للدكتور محمود قاسم ص ١٩٤ طبعة ج ٢ سنة ١٩٦٢ م .

وقد فرق أرسطو بين كل من العقل الهيولاني الذي هو مجرد استعداد يُمكن الإنسان من ادراك معاني الأشياء أو صورها ، وبين ذلك العقل الذي ينتزع هذه المعاني فعلاً وهو ما يسميه بالعقل الفعال . وقد أدت هذه التفرقة لدى أرسطو الى القول بالعقل بالقوة ، والعقل المنفعل والعقل الفعال ، فقال : " في الواقع يفرق المرء في النفس من جهة بين العقل الذي يشبه المادة بسبب أنه يصير جميع المعقولات ، ومن جهة أخرى بين العقل الذي يصنع المعقولات ، بمعنى انه حاله ما شبيهه بالضوء " (١) .

والعقل الفعال عند أرسطو يلقى قوه على الصور الخيالية حتى تخرج منها الصور العقلية الى الفعل بعد أن كانت موجودة فيها بالقوة مثل الضوء الذي ينمّر الأشياء فتظهر للعين .

وبناءً على قول أرسطو هذا فر الاسكندر الأفروديسي المعرفة الانسانية بأن النفس اذا أدركت احدى الصور العقلية فانها تتحد بها وتصبح معها شيئاً واحداً ، وقد كان يفرق هو أيضاً بين العقل الفعال ، والعقل بالقوة ، وجعل العقل الفعال عند أرسطو ذاتاً مستقلة هي الله .

أما تيمستيبس فيرى أن أرسطو لم يكن يقول بأن العقل الفعال هو الله الذي يفكر في نفسهوس البشر ، وذلك لأن هذا العقل جزء منا أو هو حقيقتنا بعبارة أدق (٢)

ثم يفرق تيمستيبس بين ما يسميه العقل المشترك وبين ما يطلق عليه اسم العقل بالقوة ، وقد طبق نظرية تعاقب الصور على مادة واحدة ، ورتب العقول على هذا الأساس ، وجعل العقل الفعال آخر وظائف النفس أو آخر صورها أو صورة الصور .

وقد انتقلت هذه الأفكار والنظريات الى العالم الاسلامي وكان لها أثرها على الفلاسفة المسلمين ولكن المتكلمين كانت لهم تعريفات للعقل على أنه قرب من العلوم الضرورية ، أو انه قسوة

(1) De Anima III, 430, a, 15.

(٢) د . محمود قاسم : في النفس والعقل ص ٢٠٠ .

يفصل بها بين حقائق المعلومات ، وذكروا عن العقل انه ملكه الحكم اذ هو يتأمل فيما يدركه ويقبله على جميع وجوهه ويحكم عليه ، ويتملكه الحكم ملكه الحكمة ، التي تنتهي بالحكيم الى العلم بما يحسن ويقبح ، وما ينبئ له أن يطلبه ، وما ينبئ له أن ياباه وذكر الجاحظ عن العقل أنه سمي عقلاً لأنه يزعم اللسان ويخطمه عن أن يمضى فرطاً في سبيل الجهل والخطأ والمضرة .

وقال الجرجاني في تعريفاته ، ان العقل يمنع الانسان من العدول عن سواء السبيل ، والعاقل هو الذي يمنعه عقله عما لا ينبئ .^(١) وقريب من هذا ذهب معاجم اللغة العربية ، فذكر مختار الصحاح عن العقل بأنه الحجر والنهي ضد الحمق ، أي المنع والعقال ، ولذا يقال في لغة العرب عقلتُ الناقة ، أي منعتها بما شددتها به عن تصرفها في سعيها^(٢) .

ولهذا جاء في تعريف العقل ما يجمع بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فقيل عن العقل أنه الضبط والفهم لأن ما فهمته فقد قيده بعقلك وضبطته ، وهذا الضبط جعل هيرقليطس يطلق لفظ العقل أو اللوجي على القانون الذي يضبط حركة الكون وينظمه^(٣) .

ولقد اهتم الكندي الفيلسوف المسلم بدراسة العقل وتعريفه فقال : ان لفظ العقل يطلق على عدة معانٍ أولها : العقل الذي هو بالفعل دائماً وهو خلة جميع العقول والمنقولات وهذا العقل عند الكندي فيما يرجح هو له وثانيها : العقل الذي هو في نفس الانسان بالقوة . وثالثها : العقل كمادة وهو الذي في النفس بالفعل ، وتستطيع النفس استعماله متى شاءت . ورابعها : عقل هو فعل به تظهر النفس ما هو فيها .

ويرى الكندي أن خروج العقل من القوة الى الفعل هو من فعل العلة الأولى ، أي أن الكندي كان يرى أن العقل الذي هو بالفعل دائماً هبة من الله ، ويسميه الكندي بالعقل المستفاد .

(١) الجرجاني : التعريفات ص ١٥٧ .

(٢) مختار الصحاح : ص ٤٠٩ .

(٣) د . أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ٦٠ .

والواقع أن نظرة انكسدي للعقل إنما تعد من ناحية الشكل أثرًا من آثار نظرية الاسكندر الإفروديسي وقد سرى هذا الأثر في الفلسفة الإسلامية والفلسفة المسيحية .

وكذلك نجد الفارابي قد اهتم بدراسة العقل وأفرد له هو الآخر مقالة في معاني العقل ضمن كتابه الثمرة المرضية . وقد حاول الفارابي في هذه المقالة أن يبين معنى العقل عند الجمهور وعند أرسطو فذكر : أن لفظ العقل يطلق ويراد به معاني جمة ، فإن العامة تصف به كل ذي فضل شديد الحكم . والمتكلمون يعبرون به عن تلك الملكة أو القوة التي يميز الاتان الخبير والشر .

ويمرض الفارابي نظريته في العقل وقد تأثر في تقسيمه له بأرسطو فترق بين أربعة عقول: العقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال .

ويرى الفارابي أن العقل بالقوة هو قوة من قوى النفس ، أو شيء ما ، ذاته معدة أو مستعدة لأن تنتزع ماهيات الموجودات كلها وصورها ، فتجعلها كلها صورة واحدة .

والعقل بالفعل هو نفس العقل السابق ، وقد اتحد بالصور العقلية التي كانت موجودة بالقوة في الأشياء الخارجية ، ثم انتقلت الى الفعل أي الصور التي يمكن ادراكها فأصبحت مدرسة ، أي أن هذين العقلين عند الفارابي مظهر لشيء واحد .

والعقل الثالث الذي يسميه الفارابي بالعقل المستفاد يكون عندما يدرك الصور العقلية ، وتصبح هذه صورة له ، فينقلب عقلاً مستفاداً ويذكر الفارابي في هذا المدد " أن العقل بالفعل متى عقل المعقولات التي هي صور له من حيث هي معقولة بالفعل صار العقل الذي كنا نقول أولاً أنه العقل بالفعل هو الآن العقل المستفاد" (1) .

ومن ذلك نرى أن الفارابي في نظريته في العقل تأثر بأرسطو من ناحية الشكل وأخذ من تيمم تبيين القول بالترج في الوظائف العقلية . ويضيف الفارابي الى هذه العقول الثلاثة عقلاً رابعاً هو العقل

الفعال والذي قال به أرسطو لأنه رأى أن هذه العقول الثلاثة ليست كافية في تحصيل المعارف ،
إذ لا بد من وجود عقل آخر يخرج النفس من مجرد الاستعداد لإدراك الأشياء ، إلى إدراكها بالفعل ،
والعقل الفعال لديه موجود خارج النفس وهذا العقل الفعال موجود دائماً ، ومتحقق تحققاً
تاماً وهو الذي يهب الصور للمادة ، وإن أمكن حصول المعرفة للإنسان ، وكذلك صحة هذه
المعرفة ، يتوقfan على أن يهب العقل الفعال للإنسان معرفة هذه الصورة .

ويشبه الفارابي العقل الفعال بالشمس التي تخرج الألوان من القوة إلى الفعل ، أي من الخفاء
إلى الظهور ، كذلك العقل الفعال هو الذي يجعل العقل الذي بالقوة عقلاً بالفعل بما أعطاه من
ذلك المبدأ .

ويذكر الفارابي أن النفس لا تستطيع بلوغ غايتها في الإدراك إلا إذا وجد شيء يخرجها من
القوة إلى الإدراك الفعلي ، وذلك الشيء هو العقل الفعال . ولا تتم المعرفة الحقة عند الفارابي
إلا إذا تم الاتحاد بينهما أو الاتصال الذي عن طريقه تحصل المعرفة .

ويذهب الفارابي إلى أن المرء لا يستطيع الاتصال بالعقل الفعال دفعة واحدة ، بل لا بد له من
الانتقال من مجرد الاستعداد النظري للمعرفة إلى مرتبة العقل بالفعل ، ومن هذه المرتبة السلي
العقل المستفاد (١) .

أذن يفهم الفارابي المعرفة الإنسانية على أساس اتصال العقل الفعال بنفوسنا ، لأن النفس
الإنسانية لا تستطيع بلوغ غايتها في الإدراك ولا تصير عقلاً بالفعل عند الفارابي إلا إذا وجد شيء
يخرجها من القوة أو من مجرد الاستعداد إلى الإدراك الفعلي وذلك الشيء هو العقل الفعال ، ولا تتم
المعرفة الحقة إلا إذا اتحد هذا العقل بالنفس العاقلة لدى الإنسان وحدث الاتصال .

(١) الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٦ .

ويذهب الفارابي الى أن هذا الاتصال لا يتم لكل الناس ، بل يتحقق لدى هؤلاء الذين قويمت لديهم ملكة الخيال ، وقد يتلقى البعض العلم بالأمر المستقبلية التي تفيض من العقل الفعال ، وقد تبدو على صور خيالية ، وتلك مرتبة الأنبياء ، ولقد كان لهذه الآراء الفارابية أثرها الواضح على من جاء بعده من الفلاسفة كابن سينا والغزالي وابن باجة .

ففرق ابن سينا كذلك بين أربعة عقول هي : العقل الهولاني أي العقل بالملكة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد والعقل الفعال وعن طريق هؤلاء ينتقل الانسان من حالة الجهل الى العلم ، ومن درجة الاستعداد الى درجة التحصيل ، أي ينتقل من حالة القوة الى حالة الفعل ، والعقل الفعال هو الذي يخرج النفس البشرية من حالة المعرفة بالقوة الى كونها عالمة بالفعل . وأن المعرفة تنبم عن طريق اتصال النفس بالعقل الفعال . ويضع ابن سينا شروطاً حتى يتم الاتصال ، لأنه لو كان الاتصال يتم هكذا بدون شروط تتمثل في مجاهدة النفس لقوى البدن لتساوى الكل فسي الضعفة . ويوضح ابن سينا كيف يتم الاتصال فيذكر طريقين : الطريق الأول هو طريق التأمل والبحث والتفكير ، حيث تمل النفس ابتداءً من مرحلة الادراك الحسي بدرجاته مارة بالعقل الهولاني فالملكة ، فالعقل بالفعل ، حتى تصل الى درجة العقل المستفاد حيث هناك تتصل بالعقل الفعال الذي يمنحها صور المعقولات . أي أن الاتصال عند ابن سينا يتم عن طريق الترقى الطبيعي بالتأمل في الموجودات ، فتلوح له الأمور الالهية متقدرة في نفسه عن طريق العقل الفعال .

ويؤكد ابن سينا ان عدم الاتصال ليس معناه غياب هذا العقل عنا ، بل معناه غيابنا نحن عنه ، لأن العقل الفعال حاضر دائماً بالفعل ، فهو على حد تعبير ابن سينا ليس مما يغييب ويحضر ، بل هو حاضر بنفسه ، انما نحن الذين نغييب عنه بالاقبال على الأمور الحسية . وفي هذا يتفق ابن سينا مع الفارابي الذي يصف العقل الفعال بأنه متحقق تحققاً تاماً ، فعال دائماً .

ويشبه ابن سينا العقل الفعال أيضاً بالشمس حين يقول عنه " ونسبته الى نفوسنا كمنسبه الشمس الى ابصارنا ، فان القوة العقلية اذا اطلعت على الجزئيات التي في الخيال ، واشرق عليها نور العقل الفعال فينا ، استحالت مجردة عن المادة وعلائقها وانطبع في النفس الناطقة ، لا علمي أنها نفسها تنتقل من التخيل الى العقل منا ، بل على معنى أن مطالعتها تعد النفس لأن تفيض

عليها المعنى المجرد من العقل الفعال . فان الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس نحو قبول الفيض " (١) .

أى أن ابن سينا يفسر المعرفة الانسانية أيضاً . على أساس نظرية الاتصال بين النفس والعقل الفعال ، وأن التعلم ماهو الا محاولة الاستعداد التام للاتصال بالعقل الفعال وأن هذا الاستعداد يكون ناقصاً قبل التعلم وكاملاً بعده ، وقد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال الى كثير شيء ، والى تخريج وتعلم بل يكون شديد الاستعداد لذلك كأنه يعرف كل شيء . من نفسه وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد . ويجب أن تسمى هذه الحالة من العقل الهولاني عقلاً قديماً (٢) .

فابن سينا كالغارابي يقول بالاتصال حتى تتم المعرفة ، وان كان ابن سينا يختلف عن الغارابي من جهة انه لا يعلم معه بأن النفس تتحد مع هذا العقل فتغنى فيه ، وقد أخذت نظرية المعرفة المينوية طابعاً اشراقياً أثر في غيره من الفلاسفة الذين جاءوا بعده .

فالغزالي مثلاً فرق هو كذلك بين أربعة قوى نفسية تقابل كل قوة منها عقلاً . الأولى قوة هي مجرد استعداد خالص للادراك يطبق عليها اسم العقل الهولاني ، أى المادة أو العقل بالقوة ، ثم تأتي المرتبة الثانية يدرك فيها الإنسان بعض المعاني مثل البديهيات أو الأوليات اليقينية التسمى يدركها الإنسان بن غير اكتساب اذ هي فطرية .

أما المرتبة الثالثة : فهي ما يطلق عليه الغزالي العقل بالفعل ، ويريد بها أن الإنسان يهتدى الى حقائق معينة ثم ينقل عنها ، غير أنه يظل قادراً على استعادتها ، فاذا تمثلت هذه المعاني في الذهن تحققت المرتبة الرابعة ، وهي العقل المستفاد ، وقد سمي كذلك لأنه يستفيد هذه المعاني بأحد الأسباب الالهية وهو العقل الفعال .

(١) ابن سينا : الشفاء ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٢) ابن سينا : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

ويفسر الغزالي المعرفة الانسانية بأنها تتم على صورة انوار واضواء تفيض من العقل الفعال على النفوس البشرية وهو يرى من جانب آخر أن هذه الأنوار ، والأضواء لا تفيض الا بشرط أن تكون النفس مستعدة لقبولها .

ويذهب الغزالي الى القول بأن المعاني تحضر في العقل ثم تغيب ثم تعود ، ولا يمكن أن يكون العقل مصدرها ، فلا بد من التسليم بوجود جوهر مستقل تفيض منه هذه المعاني . اذن الغزالي من أنصار نظرية الفيض في الحسنة وتختلف النفوس عنده في استعدادها لقبول هذه المعرفة الاشراقية . اذ قد تمتد وعندئذ يصبح الفيض متواصلاً متواتراً متوالياً ، وقد تنصرف عن الفكر جملة ، فتعرض عن جانب القدس ، وبين هذين النوعين من النفوس مراتب يتفاوت الناس تبعاً لها . قريباً وبعداً من الله ، فالنفوس الصافية المشرقة التي تطهرت من أدران البدن وشهواته فان أنوار العلم تتلألأ فيها ، وهي مؤيدة من قبل الله تعالى ، وهي شاقبة الحدث . وقد يكون هذا الحدث عقب طلب وشوق ، وقد يكون من غير طلب أو احتياج فتفيض عليها المعقولات مصحوبة ببراهينها .

ويصف الغزالي النفوس الواملة بأنها تشبه من تجرد ثياب بدنه فأصبح نوراً خالصاً ، واتصل بـالم القدس ، وتتصل له حقائق الأشياء مع وجودها خارج حسه ، وعلى هذا النحو يدان للأنبياء والأولياء أشياء وجوز ماثلة لجواهر الملائكة ، وتحدث لهم ذلك في اليقظة ، وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها ، فيتلقون من الغيب ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفا باطنهم (1) .

أى أن الإمام الغزالي يفسر المعرفة الانسانية عن طريق الفيض والاشراق من العقل الفعال الذى يهب العلم والمعرفة كما قال الفارابي وابن سينا قبله .

وعلى ذلك فحاجة العقل الانساني الى مصدر خارجي يفيض عليه العلم والمعرفة ويهديه الى الحقيقة ، أمر متفق عليه من منظم الفلاسفة ، لأن العقل الانساني عقل محدود أو هو ليس شيئاً

(1) الغزالي : فيصل التفرقة ، ص ٦ .

ذا بال ، وانه بحاجة الى من يهبه العلم ويفيض عليه بالمعرفة ، وذلك ما صرح به ابن طفيل في كتابه حتى من يقظان بعد أن استعرض قدرة العقل الانساني على معرفة الحقائق ، انتهى الى أن الانسان باعتباره كائناً مفكراً ينظر ويتأمل كل ما يقع تحت بصره وسمعه ، فان ادراكه لجميع ما يراه ، انما بسبب خالق يلهمه العلم والمعرفة ويفيض عليه بالنور وذلك يكون عن طريق الوحي والنبوة (١) .

وأيضاً نجد ابن باجه فيلسوف المغرب يصرح كلاك بأربعة عقول هي العقل الهولامي ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال . وان العقل المستفاد يفيض من العقل الفعال . ونجد للعقل الفعال عند ابن باجه في نظرية المعرفة نفس المكانة التي احتلها لدى كل من الفارابي وابن سينا والغزالي اذ هو صورة مجردة عن المادة غير قابل للانقسام ، فعلمه واحد لا يتعدد .

ويذهب ابن باجه الى القول بأن تحميل الصور العقلية بتأثير العقل الفعال هو الذي ينتقل بالعقل الانساني من مجرد الاستعداد الى مرتبة العقل المستفاد ، ولا يتم هذا الا اذا اتحد العقل بالفعل مع العقل الفعال . أي اذا فاضت عليه الحقائق ويسمى ابن باجه هذا الاتحاد بالاتصال . لقد فر هؤلاء الفلاسفة المعرفة عن طريق الاتصال بالعقل الفعال الذي يفيض على النفس الانسانية بالمعرفة الاخرافية اللدنية لكن ابن سينا رأى أن هذا الاتصال يتم عن طريق النظر والتأمل وقد شاركه في هذا القول ابن طفيل .

أما ابن رشد فقد وقف طويلاً أمام العقل الانساني يدرسه ثم فرق بين ثلاثة عقول هي العقل المادي ، والعقل بالفعل ، والعقل الفعال (٢) ، ولكن ابن رشد رأى أن هذه العقول الثلاثة توجد بداخل النفس بمعنى انها ثلاث مظاهر نفسية ، ولم يصرح قط بأن العقل الفعال ذات مستقلة عن النفس

(١) ابن طفيل : حتى من يقظان

(٢) ابن رشد : تهاافت التهاافت ، ص ٥٦٧ .

الانسانية^(١) . ولذلك كان الاتمال لدى ابن رشد مختلفاً عنه عند الفارابي وابن سينا والفراشي وابن طفيل ، لأن ابن رشد ذهب الى أن العقل الهيولاني يمكنه أن يدرك العقل الفعال ، وأن يتمل به وان هذا الاتمال يتم داخل النفس وذلك لأن كلا العقليين انما يعبران عن حقيقة واحدة ذات مظهرين .

ويصرح ابن رشد في كتابه " الفحص عن اتمال العقل الهيولاني بالعقل الفعال " بأن هذا العقل الفعال يتمل بنا من أول الأمر فاذا استطاع الانسان الرقي في مدارج المعرفة أدرك حقيقته أو اتحل بذلك العقل اتمال ادراك بعد أن كان متملاً به اتمال وجود فقط .

اذن ابن رشد من أصحاب نظرية الاتمال داخل النفس الانسانية ولا يجرح بأن هناك أيضاً من الخارج كما قال بذلك غيره من الفلاسفة الذين حاولوا تفسير المعرفة الانسانية عن طريق تلقى العلم من مصدر خارجي هو العقل الفعال يهب العلم ، وتصوره البعض خارج النفس ذاتاً مستقلة قالوا عنه هو الله ، وتصوره ابن رشد داخل النفس وقال عنه أيضاً انه هو الله^(٢) .
فما معنى ذلك كله ؟

نستطيع أن نستنتج من كل ما سبق أن العقل الانساني عقل محدود منفعل محتاج الى مدد وعمون وفيض يأتيه من مصدر آخر يهبه العلم والمعرفة وهذا المصدر هو الوحي ، هذا ما صرح به الكندي في قوله أن العقل وحده لا يكفي محمداً للمعارف ، انما هو في حاجة الى الوحي ، لأن هناك حقائق تفرق قدرة العقل ، وأن العقل يعجز بطبيعته عن ادراكها ، ومن أجل ذلك اهتم الكندي باثبات الوحي والنبوة كمصدر للعلم والمعرفة . وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن للكندي رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام ، وكذلك ذكر القفطي أن للكندي كتاباً في اثبات النبوة ، حيث الحاجة اليها حاجة ملحة لاكمال ما عجز العقل الانساني عن أن يتوصل اليه ويضيف الكندي بياناً بأنه لا تعارض بين المعرفة العقلية والعلم الالهي . الذي يختص به الأنبياء عن طريق الوحي . وأن

(1) De Beatitudine animae- fot 20, V.C-1.

(٢) د . محمود قاسم : في النفس والعقل ، ص ٢٤٧ .

طبيعة هذا العلم الالهي تتحمل بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ولا بحيلة بشرية ولا بزمان وانما بارادة الله تعالى • وان هذا العلم الالهي يتفق مع العلم الانساني • ولا تعارض بينهما ، لأن الله في علمه ووحيه انما يخاطب عقلا خُلِقَ بمروره تجعله يستطيع أن يفهم ما يوحى اليه •

ولقد كان من حكمه الله ورحمته وعدله أن يكمل نقص العقل الانساني بالوحي الذي يمدد العقل بالعلم والمعرفة ، لأن العقل الانساني كما قال الامام الغزالي قليل الغناء ، ولا بد له من مدد من الله ، لكي يستعيد ثقته بنفسه اذ العقل عاجز عن حل الكثير من المسائل ، وأن أصحاب العقول متضاربون متباينون وأن هذا التعارض والتباين دليل عدم قدره العقل على التوصل لليقين ، وان المعرفة اليقينية الحقه سندها في الوحي المنزل الذي لا يأتيه شك ، وان هذا الوحي انما يخاطب العقل ولا يمكن ان يكذب العقل الوحي ، اذ لا تعارض بينهما •

ويؤكد الفارابي كذلك ان طريق الوحي وطريق العقل واحد ، اذ كلاهما يصدر عن مبدئ واحد ، هو العقل الفعال ، وان الاتصال به يكون عن طريقين طريق البحث والنظر والتأمل ، وعن طريقهم يستطيع المرء أن يمدد الى منزله العقول العشره ، ويرتقى الى درجة العقل المستفاد حيث يقتبس الأنوار الالهية ، ولكن ليست جميع النفوس تادرة على ذلك الاتصال ، انما هذه درجة خاصة بالأرواح القدسية التي تستطيع ان تخترق حجب الغيب وتدرك عالم النور ، يقسول الفارابي : الروح القدسية لاتشغلها جهه تحت عن جهه فوق ، ولا يتفرق الحس الظاهر حها الباطن ، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها الى اجسام العالم بما فيه ، وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، فهذه درجة الحكيم الذي يوسمه الاتصال بالعقل الفعال •

أما الطريق الثاني للاتصال عند الفارابي فهو طريق النبي وهو طريق المخيلة ، الذي يكون عن طريقها الاتصال بالعقل الفعال ، والهامات الأنبياء والوحي الذي تنزل عليهم هو أثر من آثار المخيلة ، وان في مقدور المخيلة عند الفارابي ان تمتد الى العقل الفعال ، وان تلقى عنه الحقائق وذلك عن طريق الوحي والرؤيا المادقة ، وهذا الاتصال يكون للأنبياء في حال اليقظه وفي حال النوم معا •

والفارابي يرى أن للنبي امتيازاً خاصاً يمتاز به عن سائر الناس وان له طاقة أخرى أو قوة معينة تمكنه من التقاط الوحي والاختصاص به وذلك عندما يصرح بقوله " النبوه مختصه في روحها بقديسه تدعن لها غريزه عالم الخلق الاكبر كما تدعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر ، فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبله والعادات ولاتحداً مراتها ولايمنها شيء عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لايبطل ، وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ مما عند الله الي عامة الخلق" (١) .

وعلى ذلك يرى الفارابي ان الحاجة للنموه ضرورية للبلاغ المبين ولذا قدم أدلة كثيرة على

اثبات النبوه .

وأيضاً نجد هذا القول من الفارابي يجعل النبوه امتيازاً واصطفاءً واختياراً يحظى الله من يشاء ويختار وبهجه القدره على تلقي العلم والمعرفة ويوحى اليه بما يريد من هداية وارشاد وأمر ونهى قال الله تعالى ^١ الله يمظى من الملائكة رسلا ومن الناس" (٢) .

فالرحى لغة هو الاعلام السريع الخفى أو الاشاره والالهام سواء بدافع الغريزة أو باشراقات آلهية وفى اللمنى الأول قال الله تعالى " وأوحى ربك الي النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ، ومن الشجر وما يعرشون" (٣) .

أما الوحي اصطلاحاً فيمنى اعلام الله نبياً من انبيائه أو رسولا من رسله مايشاء من كلام أو معنى يفيدهم العلم البيئى القاطع قال تعالى " فأوحى الي عبده ما أوحى" (٤) . وقوله عز وجل " وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم" (٥) اذن الرحى هو الحلة بين الله وبين أنبيائه ورسله ليومل لهم ^١ الهدى ايضاله من علم وحكم وأمر ونهى ، قال تعالى لموسى عليه السلام " وأنا اخترتك فاستمع لصايوحى" (٦) .

ويكون الوحي أحيانا بلا واسطة ، وذلك بالقاء العلم فى العقل والقلب على شكل الهمام وقد يكون عن طريق سماع الكلام الالهى من غير أن يرى السامع من يكلمه ويكون أيضاً عن طريق ارسال ملك ترى صورته ويسمع كلامه، كجبريل عليه السلام ، فيوحى الي النبى ما أمر الله أن يوحى

(١) الفارابى : الثمره العرفيه ص ٧٢ (٥) الأنبياء : ٢

(٢) الحج : ٢٥ (٦) طه : ١٣

(٣) النحل : ٦٨

(٤) النجم : ١٠

اليه ، قال الله عز وجل في هذا " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء انه على حكيم " (١) .

وفعل الوحي في القرآن مسند غالبا الى الله ، وان جاء اسناد الوحي الى غير الله فمسمى مواضع ، مثل شياطين الانس والجن والمعنى فيها مختلف عن الوحي المسند الى الله تعالى .
والموحى اليه في كثير من الأقوال هم الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى " انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده " (٢) .

وقال عز وجل " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون " (٣)
وقال كذلك " قل انما يوحي اليّ انما الهك اله واحد فهل انتم مسلمون " (٤) .

قال تعالى " إن أتبع الا ما يوحي اليّ وما أنا الا نذير مبين " (٥) .

وقال عز وجل " وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها " (٦) .

ولذلك كله قال الامام الخزالي ان العلم الحاصل عن طريق الوحي هو علم نبوي اخص به الأنبياء عليهم السلام والرسول صلوات الله عليهم والعلم الذي يصل عن طريق الالهام انما هو علم لدني من عند الله يحمل بلا واسطة بين الله والنفس ويشبهه الخزالي بالضوء المنبعث من سراج فيقع على العقل فيهديه لطريق الحق .

(١) الشورى : ٥١

(٢) النساء : ١٦٣

(٣) الانبياء : ٢٥

(٤) الانبياء : ١٠٨

(٥) الاحقاف : ٩

(٦) الشورى : ٧

ويعقب الغزالي على ذلك قائلا : أن هذا العلم الحاصل للأنبياء إنما هو أشرف من علم جميع الخلائق لأنه متحمل من الله تعالى الذي خصهم وفضلهم به يقول الله تعالى " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات الى النور ، وذكرهم بأيام الله ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور " (١) .

اذن أرسل الله أنبياءه ورسله الى الناس للهداية والتعليم ولاحراجهم من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعرفة وليبصرهم بما يريد الله منهم حتى لا يكون لهم حجة بعد ذلك قال تعالى " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما " (٢) .

فالله سبحانه وتعالى أنزل الوحي والكتب لهداية الناس ولبيان طريق الحق والنور ، قال تعالى من كتاب موسى " انا انزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء " (٣) .

وذكر الله تعالى كتاب عيسى بقوله " وقفينسا على إثرهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراه ، وآتيناها الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراه وهدى وموعظة للمتقين " (٤) .

أما القرآن الكريم خاتم الكتب فقد وصفه الله بقوله " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه " (٥) .

(١) ابراهيم : ٥

(٢) النساء : ١٦٥

(٣) المائدة : ٤٤

(٤) المائدة : ٤٦

(٥) المائدة : ٤٨

أى أن القرآن يهيم على كل الكتب السابقة التى أرسلها الله للناس للهداية والبيان والتعليم وأنه كتاب حق وصدق لا يأتیه الباطل قال عز وجل ، «وهأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (١) .

فهذا الكتاب أوحى الله به الى عبده ليكون هدى ورحمة تستضي به العقول وتهتدى بهديسه النفوس يقول الامام الغزالي فى هذا الممدد " اعلم ان العقل لن يهتدى الا بالشرع ، والشرع لم يتيقن الا بالعقل فالعقل كالأس ، والشرع كالبناء والعقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ، ولن يغنى البصر مالم يكن شعاع ولذا لا بد من لجوء العقل للشرع ، وأن كليهما لا بد لهما من الوحي ، الذى يتلقى الانبياء عنه العلم الحق والمعرفة اليقينية .

وحديث جبريل المشهور يؤكد مهمة الوحي فى التعليم قال الرسول عليه الصلاة والسلام " لقد جاءكم جبريل يعلمكم أمور دينكم " (٢) ، أى ان الوحي ضرورى لمزيد من العلم فى أمور الدين والعقيدة وليزود العقل بما عجز عن التوصل اليه بذاته ، إذ الوحي كالزيت يمد السراج بالنور كما قال الامام الغزالي ، فاذا لم يكن زيت لم يحمل السراج ، ومالم يكن سراج لم يضيء زيت . نالته سبحانه وتعالى خلق العقل وزوده بقدرات وامكانيات محدوده وأرسل اليه الرسل بالوحى ليمده بالعلم اللازم لامكانياته يقول الله تعالى " الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ريتونه لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس ، والله بكل شىء عليم " (٣) .

فالله تعالى يبين لنا بالامثلة كيف ان علمه يضىء العقول ويمدها بنور العلم والمعرفة عن طريق الانبياء والرسل الذين كلفوا بالبلاغ المبين بقوله الله تعالى " يا أيها الرسول بلسغ ما

(١) فصلت : ٤١ - ٤٢

(٢) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب انظر صحيح مسلم شرح النووي ط١ ص ١٥٧ .

(٣) النور : ٣٥

أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدي
القوم الكافرين" (١) .

فالغاية من الوحي وارسال الرسل هي بيان ما أنزل اليهم وابلاغهم ما في الوحي من علم
وارشاد يهدي العقل ويبصره قال تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم
ولعلمهم يتفكرون" (٢) .

فالوحي يخاطب العقل ويحثه على الفكر لتستمر العمليات العقلية في ترقى لمزيد من
العلم والمعرفة ، فلا غنى للعقل عن الوحي ، ولا الوحي يهمل العقل ، انما لكل منهما
دور يؤديه وعمل يناط به في انسجام واتفاق لاتعارض بينهما على الاطلاق .

وقد اهتم المفكرون والفلاسفة ببيان هذا التوافق بين العقل والوحي وكان الأشعري
ومدرسته من الذين سعوا لايجاد علاقة بين العقل والوحي وحاول الأشعري أن يوظف العقل في فهم
النص الموحى ليثبت انه لاتعارض بين ما يخبرنا به النص وبين ما ندركه بالعقل .

وجاء الامام ابن حزم فانشغل تماما بهذه العلاقة واهتم بابرار دور العقل الانساني في فهم
النص المنزل وانه لاتعارض بين الوحي والعقل في ادراك الحقيقة اذا سلم العقل من الآفات
وسلم النص من التفسير الذي يبذل الحقائق . فتلعب دور الاساس في ادراك الحقيقة (٢) ، بجانب
الوحي الذي هو مصدر الحقيقة الكاملة .

ولهذا وجدنا المستشرق الاسباني امين بلاثيسوس يقول عن ابن حزم انه اول من فكر
في ايجاد توافق بين العقل والوحي وان هذا شيء لم يسبق اليه في تاريخ الفكر الاسلامي (وان كنا ذكرنا

(١) المائدة : ٦٧

(٢) النحل : ٤٤

(3) A. ARNALDES: La Raison et l'identification de la verite selon
Ibn Hazm de cordue Melanges: Louis Massignon p/11, 1956.

أن الأشعري وغيره سبقه في هذا المجال) ويضيف بلاثيوس قائلا عن ابن حزم " الواضح ان هذا التحالف بين العقل والنقل انما هو شيء جديد بالاتفاق الى غيره أحدثه ابن حزم في تاريخ الفكر الاسلامي وان احدا لم يحاول قبله الدخول في مثل هذا الشكل الواضح لاقى اسبانيا ولا في الشرق ، وأن مؤلفات الفارابي وابن سينا نتاء من هذا الاتجاه المبالغ فيه نحو الفلسفة وهي تلحق الضرر بالوحي) ثم يقول : وكان لا بد من الوصول الى ابن رشد بعد ابن حزم بقرن من الزمان كي يواجه هذا التحالف بصورة اكبر مؤكدا العلاقة بين العقل والوحي وقد تابعها في ذلك توماس الأكويني (1) .

فالمستشرق الاسباني يرى أن ابن حزم وابن رشد وتوما الاكويني هم الذين اهتموا بايجاد علاقة بين العقل والوحي والواقع أن بلاثيوس لم يمد بصره ناحية الشرق ليرى جهود العديد من المفكرين الذين حاولوا ايجاد علاقة بين العقل والنقل توجت بموسوعة ابن تيمية «في درة» المتعارض بين العقل والنقل ، ليثبت برأي قاطع موافقة صريح المعقول لمصحيح المنقول ، وان العقل لا يكذب الشرع ولا النقل يهمل العقل كما يقول النزالي من فلاسفة المشرق : ان العقل لا يكذب ولو ذهبنا الى تكذيبه فلسله كذب في اثبات الشرع الذي ما عرفناه وما ثبت الا به .

أي ان النزالي حري كذلك على ايجاد علاقة قوية بين العقل والوحي وان وضع لقانون التأويل (2) ، الذي يجعل العقل شاهدا على نهم النص ما هو في نظرنا الا ليثبت توافق العقل مع الوحي .

ولقد حاول ابن رشد من بعد النزالي نفس المحاولة عندما أقام جورا توية بين العقل والوحي ، لأن العقل لا يستطيع أن يستغنى عن الوحي ، وانه ليس ثمة تعارض بين العقل والوحي ومن أجل ذلك وضع ابن رشد كتابة " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال " وألف أيضا كتابه " الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة " واجزاء من كتاب التهافت ليوضح العلاقة القوية بين العقل والنقل وبين قدره العقل وامكانياته في ادراك الحقيقة ، وأن كان ابن رشد يعترف بأن

(1)Asin Palacios: Ibn Hazm de cordoba, Ysu historia critica p 157 - 158.

(2) التأويل معناه في اللغة المرجع والمصير، اما من حيث الاصطلاح فهو يعني التفسير ثم استحدث معنى آخر للتأويل هو نقل الكلام عن موضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ وهو مأخوذ من قولك ألى الشيء الى كذا أى صار اليه ، وهناك معنى ثالث للتأويل يعنى صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى آخر يحتمله وقد شاع استعماله في القرن الرابع الهجرى .

هناك أموراً تفوق قدره العقل ويعجز أزماءها عن التقدم ولهذا يلجأ العقل الى الوحي الذي جاء -
مقوماً لعلم العقل يقول ابن رشد في هذا الصدد "كل ما عجز عنه العقل أفاده الله تعالى الايمان
من قبل الوحي" (١) .

فالعقل لا يستطيع ان يستغنى عن الوحي لان هدفهما واحد هو ادراك الحقيقة ثم يضيف
ابن رشد موضحاً ان ذلك لايعنى ان كل الحقائق الدينية في متناول العقل وانه بوسع ادراكها . بل
على العقل ان يعلم بما يخبره به الوحي في المسائل الغيبية كمعرفة الله ، والسعادة والشقاء
الانسانية في هذه الحياه الدنيا وفي الحياه الأخرى . ويصرح ابن رشد ان هذه الامور لا تتبين كلها
أو معظمها الا بوحى ، أو يكون تعيينها بالوحي أفضل (٢) .

ويؤكد كذلك ابن رشد بان العلم الذي يأتي به الوحي رحمه لجميع الناس (٣) ، لان هناك
حقائق يجب ان يعلم بها ، وهذا لاينبى ان تلك التي تُلم بها محاولة في العقل ، انها قد
يحار فيها العقل ولا يدركها لكنها غير مستحيلة . والخطأ الذي يقع ليس في استخدام العقل
في الدين ، بل في الحد الذي يستخدم العقل في الدين ، بحيث يجب ان يتوقف عند ذلك
الحد ولا يتجاوزه ، وبذا يمكن ان نحفظ للدين قداسته وللعقل مكانة الذي أنيط به لكي يكون
الآداة التي تمكن الانسان من مواصلة تفهم الحقائق . وقد يلجأ العقل لتأويل النص اذا أراد فهم
النص (٤) ، وحتى لا يكون هناك شبه تعارض بينهما . لأن الحكمة والشريعة أختان ارتضعا لبنا
واحداً .

أما الامام ابن تيميه فمع تأكيدده موافقة مريح المعقول لصحيح المنقول الا انه يرفض
التأويل الذي قال به الرازي والغزالي وابن رشد ويذهب الى انه لايجوز صرف اللفظ عن معناه

-
- (١) ابن رشد : تهاقت التهاقت ص ٢٥٥ .
 - (٢) ابن رشد : مناهج الأدله ص ١٠١ .
 - (٣) ابن رشد : تهاقت التهاقت ص ٢٥٦ .
 - (٤) ابن رشد : فصل المقال ص ٩٠٧ .

الحقيقى كما لايجوز التوقف وترك بيان معنى النص الموحى به ، لان الله أمرنا أن نتدبر القرآن وان نفهمه ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك هذا من غير بيان ، اللهم الا أن يقال ان الرسول كان لايعلم معانى القرآن الذى أنزل عليه ، أو كان يعلمها ولم يبلغها كلها للناس مع انه مأمور بالتبليغ ، وكل ذلك غير مقبول ولا معقول" (١) .

وأوضح ابن تيمية ان التأويل المطلوب هو بيان الموضوع الذى يجب ترك المعنى الظاهر فيه الى المعنى الآخر المراد ، وهذا التأويل لم يغيب عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنه " لايجوز عليه ان يتكلم الكلام الذى مفهومه ومدلوله باطل ويسكت عن بيان المراد الحق ، ولايجوز ان يريد من الخلق ان يفهموا من خلاله مالم يتبين لهم ويدلهم عليه لامكان معرفتك بمعقولهم (٢)

ويؤكد ابن تيمية توافق العقل مع النقل وان ما وصل اليه العقل الصحيح النظر فى المسائل الاصولية يتفق مع ما جاء عن الوحي ولا خلاف بينهما (٣) .

ويضيف ابن تيمية الى انه لا يوجد تعارض بين العقل والنقل وان المعقول الذى يقال انه يخالف العقل لا يكون الا حديثا مرفوعا أو نحا آخر لا يدل دلالة قاطعة على مايراد الاستدلال به عليه ويستترد ابن تيمية قائلًا انه على فرض وجود تعارض بين العقل والوحي يرى ابن تيمية انه يجب ان ترجح الأخذ بالنص الثابت عن الأنبياء على ما يؤدي اليه العقل واستدلاله (٤) .

فابن تيمية مع تأكيده توافق العقل والنقل الا انه يرجح الاخذ بالنقل فى الدين لو ظهر تعارض فالأمر أولاً للوحي بقول كلمته، وأن العقل يمكن أن يخطئ أو أن يضل ولكن الوحي لن يخطئ، ابداً

(١) ابن تيمية : موافق صريح المعقول لصحيح المنقول ط ١ ص ١١٥ - ١٢٠ طبعة بولاق .

(٢) المرجع السابق : ط ١ ص ١٠٠ - ٢٠٢ ، تعارض العقل ج ١ ص ٢٢ - ٢٢

(٣) المرجع السابق ، ط ١ ص ٨٢ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤١ - ٤٢ .

والواقع ان الاهتمام ببحث العلاقة بين العقل والوحي لم يكن قاصرا على الفكر الاسلامى ولم يكن المفكرون المسلمون هم وحدهم الذين أولوا هذه المسألة العناية انما كان هناك فى الفكر اليهودى والفكر المسيحى من المفكرين من انشغلوا ببحث هذه العلاقة وبيان مكانة العقل والوحي فى المعرفة فنجد موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودى يدرس هذه العلاقة وينتهى الى القول بان العقل له حد يقف عنده فى قدرته على المعرفة حيث يجب اللجوء فيما لا يمكن ان يصل اليه العقل الى الوحي.

وكذلك كان الفيلسوف اسپنوزا من الفلاسفة الدينيين الذين اهتموا ببحث العلاقة بين العقل والوحي وانتهى الى ان لكل منهما المجال الخاص به ولا يجب ان يتداخلا .

وكذلك نجد المفكرين المسيحيين قد انشغلوا ايضا بدراسة الصلة بين العقل والوحي وكان القديس أوغسطين ممن بحث دور العقل فى الايمان وقال كلمته المشهورة "آمن كى تتعقل". فالوحي لديه سبق من العقل وأعلى مرتبة ، وجاء القديس انسلم وسار فى نفس الطريق وجعل الايمان شرطاً للتعقل واهتم كذلك الثبوت الاكبر بمسألة العقل والوحي وجعل اللاهوت يقوم على الوحي دون العقل وخلفه تلميذه توما الاكوينى الذى أعطى العقل والوحي من دراساته المقام الأول وأكد أن الدين يعدم العقل من الضلال لو ترك العقل لنفسه .

من ذلك كله نتبين كيف انشغل الفكر الانسانى بمسألة العقل والوحي والصلة بينهما ولمن منهما المقام الأول والهيمنة وان الوحي سلطانه وكلامه له المقام الأول فى النفوس بل فى العقول جميعا سواء لدى الفلاسفة أو المتكلمين لأن العقل خلق محدود يستمد علمه ونوره من الوحي المنزل وقد أوجز الرسول صلى الله عليه وسلم فى كلامه الذى هو وحي يوحى رأى الفاضل فى هذه المسألة بقوله صلى الله عليه وسلم : أنا بشر اذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشئ من رأى فانما انا بشر انتم أعلم بأمر دينكم⁽¹⁾

(1) صحيح مسلم ج4 ص 1835 مبع عيسى الحلبي .

ان هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم انما يوضح مجال الوحي ومجال العقل وان لكل منهما دوراً يؤديه ففي أمور الدين والعقيدة تكون السيادة والهيمنة للوحي يمدنا بالعلم اللازم والاحكام الواجبه ويكون دور العقل هو تفهم النص الموحى به ولا يتعدى العقل ما أخبر به النص من أمور غيبية لا تتفوق قدراته وامكانياته أما ما سكت عنه النص ولم يخبرنا به الخبر الصريح افاأمر متروك حينئذ للعقل يفكر فيه ويتدبر وهذا هو معنى قوله تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (١)

فإن الله تعالى أنزل الوحي على رسله ليبينوا لنا ما أراد الله لنا ومنا وقد كلفهم بالبلاغ والبيان والعقل البشرى يتلقى منهم الوحي بالتدبر والنظر في أمور الحياه الدنيوية وعلوم الحياه الطبيعية والبشرية التي هي في حدود قدراته ومن اختراعه ، وهذا مجال واسع أنسحه الله للعقل الانسانى ليصول ويجول فيه ويبعد بما منحه من مبادئه فطريه وأسس منطقية تقوم عليها العلوم المادية .

اذن الأمر واضح والحدود بينة فيما يختص الوحي به وما يقدر العقل عليه ولاتعارض بينهما فلكل مجاله فالوحي مجاله الدين والعقل مجاله الدنيا وأن لكل منهما دوره في المعرفة والعلم وفقنا الله في أن نعمل عقولنا في تدبر وحيننا لتعلم العلم الحق ونستزيد منه تلبية لقوله عز وجل " وقل رب زدني علما " (٢) .

(١) النحل : ٤٤

(٢) طه : ١١٤

مراجع البحث

- ١- ابن باجة : الوقوف على العقل الفعال، رسالة الاعتعال ضمن رسائل ابن باجة الالهية للدكتور ماجد فخري .
 - ٢- ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل وتحقيق د . محمد رشاد سالم الطبعمة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .
 - ٣- : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .
 - ٤- ابن حزم : الفصل في الملل والنحل طبعة المثني ببنداد .
 - ٥- : التقريب لحد المنطق نشر وتحقيق د . احسان عباس سنة ١٩٥٩ م .
 - ٦- ابن سينا : الإشارات طبيعة ليدن *
 - ٧- ابن رشد : فصل المقال وتقرير ما بين الحكى والشريعة من إتصال بيروت سنة ١٩٨٧ م .
 - ٨- : مناهج الأوله في عقائد الحلة تحقيق د . محمود قاسم الأنجلو سنة ١٩٥٥
 - ٩- : تهافت التهافت تحقيق د . سليمان دنيا دار المعارف بمصر .
 - ١٠- الأشعرى : الملع في الرد على أهل البدع تحقيق الأب مكارفي بيروت سنة ١٩٥٢ م .
 - ١١- الغزالي : قانون التأويل تحقيق زاهد الكوثري مطبعة الانوار سنة ١٣٥٩ هـ .
 - ١٢- : تهافت الفلاسفة تحقيق د . سليمان دنيا .
 - ١٣- : فيحل التفرقة بين الاسلام والزندقة تحقيق د . سليمان دنيا - دار احياء الكتاب - القاهرة .
 - ١٤- : المنقذ من الضلال تحقيق د . عبد الحليم محمود الأنجلو المصرية ١٩٦٤ .
 - ١٥- الغزالي : الثمرة المرئية أبريل سنة ١٨٩٠ م .
 - ١٦- : آراء أهل المدينة الفاضلة الطبعة الاولى .
 - ١٧- الكندي : رسائل الكندي الفلسفية تحقيق د . عبد الهادي ابوريده سنة ١٩٥٠ .
 - ١٨- أميره حلمي مطر (دكتور) : الملحة عند اليونان - دار النهضة .
 - ١٩- دي يمسور : الفلسفة في الاسلام ترجمة د . عبد الهادي ابوريده .
 - ٢٠- محمود قاسم (دكتور) : في النفس والعقل مكتبة الانجلو المصرية طبعة ٣
 - ٢١- محمد يوسف موسى : بين الدين والفلسفة دار المعارف سنة ١٩٥٩ .
- Albert Le Grand : De Intellectu et intelligibili
Aristote : traité de l'ame.
: DE Anima .
Arnaldeze (Roger) : La Raison et L'identification de La Verie
Selon Ibn HAZM de Cordone en MeLanges Louis
Massignon 1956 .
Asin Palacios : Ibn HAZM de (Cordof) Ysuhistoria critica.
Jourdain : La Philoso Phie de saint Thomas D'Aquin.
Munk : Melana Ges de philosophie Juive et Arabe Paris
1927 .